أوصاف ابن طاهر الخلقية وتأثيره في تلاميذه

بقلم العلامة مولاى التقى العلوى

وكما كان صاحب الترجمة طودا شامخا ومنارا عملاقا فى علوم القرآن والحديث وغيرهما . كان كذلك نجما ثاقبا وكوكبا ساطعا وسراجا وهاجا ونموذجا حيا ومتحركا فى التمسك بالسنة المطهرة ومقاومة البدع المنكرة يقشعر جلده عند ذكر الله وينفطر قلبه خوفا من اليم عذابه . وكانت المهنة المحببة اليه طول عمره هى الاشتغال بتنوير الاذهان وتبديد ظلام الجهل بنشر العلوم والمعرفة بين جميع طبقات الشعب وكان ملازما لتطبيق العلم على العمل ابتغاء مرضاة الله ومثوبته . وبذلك كون مدرسة تطبيقية ظهر اثرها واضحا فى تلاميذه . كما عاتت اكلها ضعفين فى تلاميذهم ، يقول تلميذه البار ابو عبد الله محمد بن سعيد المرغتى صاحب نظم المقنع الذى حج الى بلاد مدغرة 1037 هـ للاقتباس من عرفان صاحب الترجمة والتملى من معلوماته وسلوكه : كان رحمه الله من عباد الله الصالحين ما رايت اسرع منه دمعة عند سماع القرآن، فلا يكاد الطالب يجود امامه لوحا الا بكى ثلاث مرات او اكثر . وكذا عند ذكر الله وذكر نبيه وعند ذكر المدينة المشرفة والاولياء والصالحين يعظم حرمات الله وحرمات رسوله وحرمات الاولياء والصالحين وكان شديد البغض للمتبدعين التاركين لسنة الرسول . كثير التواضع لاهل العلم وللطلبة والفقراء الصادقين يجود لهم بنفسه وماله . وفضائله كثيرة . ما رايت فى مغربنا اتبع للسنة منه . وحركاته وسكناته كانت كلها علوما وفوائد (1) .

وقد كانت حياة صاحب الترجمة مطبوعة بطابع الزهد والورع وفراغ القلب مما سوى الله . فارتفع بصلاحه الدينى عن مصلحته الدنيوية واستغنى بكفافه وعفافه عما فى ايدى الناس كيفما كانت مراتبهم . فقد سبق له ان كان قد عرف مدينة مراكش المرحة الفاتنة التى تغرى الكثير من الزائرين بمباهجها . وتشجع العديد من ذوى المواهب على الاستيطان بها . والنوم فى احضانها . وكانت فى ذلك الوقت عاصمة للمنصور الذهبى الذى كان ينثر تبره ودنانيره بغير حساب على العلماء والادباء والشعراء والفنانين . وكان يتصل بهذا البلاط الذى كان يعج بذوى المواهب والنبوغ مثل ابن عمه العلامة آخر المحدثين بمراكش ومفتيها الشاعر الناثر ابى مالك عبد الواحد بن احمد العلوى المتوفى 1003 هـ والكاتب الكبير والشاعر الناثر مؤرخ دولة المنصور ووزير

تابع لما نشر سابقا من ترجمة الحافظ ابن طاهر فى العدد الثانى ص 50

(1) نفح المالك الناصر فى اجازات بنى ناصر مخطوط ونشر المثانى ج 1 ص 165 طبع فاس والدرر البهية ج 1 ص 264 كذلك .

القلم الاعلى فى دولته ومؤلف مناهل الصفا ابى فارس عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم الصنهاجى الفشتالى 957 — 1032 . والكاتب البليغ الشاعر العبقرى وزير القلم الاعلى ابى عبد الله محمد بن على الفشتالى 956 — 1021 . والفقيه الاديب المتفنن المشارك ابى الحسن على بن منصور بن المرابط الشيظمى الذى ولد حوالى 950 . وغير هؤلاء كثير . وكان فى وسعه ان ينحاش الى هذا البلاط من قريب او بعيد . ويرتبط بما ارتبط به غيره ممن هو فوقه او دونه من العلماء والادباء والشعراء وغيرهم كيف لا وهو الحافظ الكبير الجامع لاشتات العلوم والمعارف معقولها ومنقولها . لكنه فضل ان يعيش عيشة الاحرار والائمة الكبار الذين لا يدينون للمخلوقات بولاء فارتفع عن هذا المستوى الذى تعيش فيه هاته الجماعة وفضل بمحض اختياره أن يترك مراكش وينزوى فى منطقة بعيدة تشبه اطراف المعمور ، بقرية منها تسمى أولاد الحاج على ضفاف وادى زيز من أرض مدغرة ، مقتنعا بما تدره عليه أوقاف تلك القرية الحقيرة . وهناك تفرغ للعبادة ونشر العلم وتدوين الكتب التى لم يصل الينا منها — ويا للاسف — الا اسماؤها البراقة وأوصافها التى تدل على قيمتها . واشتغل كذلك بقرض الشعر فى التضرع الى مولاه وفى مديح الحضرة النبوية .

تلكم كانت بعض الخصال التى تحلى بها هذا الامام الكبير . ولذلك لا تعجب اذا راينا تأثيره الهائل يجر ذيله على بعض الاجيال التى جاءت بعده افرادا وجماعات . وذلك باقتدائهم به فى السلوك والعبادة والجد والاستقامة وتطبيق العلم على العمل ذلك التطبيق الذى يترجم الافكار والنظريات الى واقع محسوس . وصلاح ملموس . وتبتدىء هذه السلسلة بنخبة طيبة من تلاميذته المخلصين وابنائه الروحيين من امثال البوسعدى الهشتوكى ، وابى عبد الله المرغتى ، وابى بكر التطافى وابى حامد العربى الفاسى ، ونجله الابر مولاى عبد الهادى ، وغيرهم من الاعلام الذين كانوا يمثلون معالم الصوى والمنارات المضيئة للوصول الى المنابع الفكرية والاشعاعات العلمية والاشراقات النورانية . فالمؤسسون الاولون للزاوية الناصرية قد اقتبسوا من انوار هذا الامام ومعارفه بواسطة المحدث المرغتى وتلميذه العلامة اليوسى ووشحوا صدور اجازاتهم العلمية بالتبرك باسم هذا الامام ومناقبه وتباهوا بربط نسب ثقافتهم بمعلوماته الواسعة وهكذا الحال فى الزاوية الدلائية التى كان لها اتصال متين بهاذين العالمين الكبيرين بل وبالامام نفسه اما اتصالات الزاوية الفاسية بهذا الامام فقد سجلها لنا ابو حامد العربى الفاسى فى مرءاة المحاسن . وذلك بتأكيده على ما كان بينه وبين الامام من المحبة الصادقة والالفة الاكيدة والفوائد المتبادلة الامر الذى يؤكد فى وضوح ومن غير التباس راينا فيما نذهب اليه من الابوة الثقافية والروحية التى كانت لهذا الامام على الكثير من الافراد والجماعات بقى اريجها الطيب وعبيرها المتضوع ينتقل من شخص الى شخص ومن عصر الى عصر الى يوم الناس هذا (1) .

ابن طاهر والدعابة البريئة

الدعابة هى لون من الوان الفكاهة التى تثير الانبساط والانشراح وتحرك الشعور بالابتهاج والمرح . وهى اخف امهات الباب من سخرية وتهكم ولذع وهجاء ومزاح الى غير ذلك من الامور التى تبعث على الابتسام الخفيف أو على الضحك العالى الذى يشرح الصدور ويريح الاعصاب ويحطم القيود وينمى ملكة النقد وينبه الى الاخطاء .

والدعابة هى فكاهة المشايخ اهل التجلة والوقار . وصدور القوم اهل المروءة والاحتشام . لان مكانتهم تفرض عليهم ان لا يتحدثوا الا بما يبعث الابتسامة الخفيفة التى تتلاءم مع هيبتهم ولا توذى غيرهم والتى ليست مشحونة بالمكر والخديعة ولا ممزوجة باللذع الخبيث او بغير ذلك من السموم التى تؤلم الضحية المسكينة والفريسة الوديعة .

---

(1) فتح الملك الناصر فى اجازات بنى ناصر لمحمد بن موسى بن محمد بن ناصر مخطوط . مرءاة المحاسن لابى حامد محمد العربى الفارسى ط فاس ص 186 . فهرس الفهارس للشيخ عبد الحى الكتانى ج 1 ص 252 .

وتحتاج الدعابة الى مزيد من الذكاء واليقظة أمام المناورات اللفظية والمراوغات الكلامية التى تدل على الفطنة والنباهة . دخل النبى عليه السلام على عثمان رضى الله عنه وهو ارمد فوجده يأكل تمرا فقال له اتاكل تمرا وانت ارمد ؟ فأجابه عثمان على البداهة بقوله انما آكل على الجانب الاخر .. !

وقد كان النبى عليه السلام يمزح ولا يقول الا حقا (1) فقد قال لاحدى عماته لا تدخل الجنة عجوز . وحينما جزعت من ذلك تلى قول الله تبارك وتعالى (انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا لاصحاب اليمين) وكان من بين قدماء الصحابة مضحك مشهور بدعابته اسمه نعيمان وكان رجلا صالحا مع ما فيه من دعابة وكثيرا ما كان يضحك النبى عليه السلام حتى قال فيه بعد موته دخل نعيمان الجنة ضاحكا لانه كان يضحكنى (2) .

وقد كانت لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه المكانة العليا فى الدعابة حتى صار مضرب الامثال فيها بسماحة اخلاقه وتبسمه البرىء وطلاقة محياه وبشر وجهه وحتى عابه المناوئون له بذلك فقال معاوية فيه رحم الله ابا حسن فلقد كان هشاشا بشاشا ذا فكاهة وقال عمرو بن العاص فيه انه لذو دعابة شديدة وقال له عمر بن الخطاب ذات يوم لله ابوك لولا دعابة فيك قال عز الدين ابن ابى الحديد وقد بقى هذا الخلق متوارثا ومتناقلا فى محبيه واوليائه الى الآن (3) .

وبهذا كله يتضح لنا ان الدعابة الحلوة هى ربيع القلوب ونزهة النفوس ومرتع السمع ومكمن الراحة وهدف السرور ومبعث الانشراح والانبساط قد مارسها الانبياء المرسلون والصحابة الاكرمون والعلماء المجتهدون . قيل لسفيان الثورى ان المزاح هجنة . قال لا بل هو سنة (4) .

وقد اشتهر صاحب الترجمة عند اهل عصره بخفة الروح وكثرة الدعابة حتى حاز قصب السبق فى هذا المضمار يقول تلميذه المتبتل احمد على السوسى الهشتوكى وكانت فيه يعنى صاحب الترجمة دعابة لا تفارقه ابدا . ولعل هاته الدعابة البريئة التى لازمته لزوم ظله طول حياته قد كان لها القسط الاكبر فى التجنى عليه وتحمل المسؤولية فيما رمى به من الامور التى تنقص من قيمة حفظه . فاصحاب الدعابة معروفون بالمرح والانبساط الامر الذى يتنافى فى نظر المتزمتين مع طبيعة المحدثين الذين يجب عليهم ان يكونوا معروفين بالوقار والسكينة مبتعدين عما يخل بمنصبهم . ولكن ابن طاهر الذى كان يحمل بين جنبيه روحا مرحة ودما خفيفا لم ينال بشىء من هاته القيود المصطنعة . فلم يكن فى يوم ما من المتكلفين الذين يتحلون بما ليس فى طبيعتهم فهو سائر فى اقواله واعماله على هدى من ربه وبينة من أمر دينه الذى تقول مبادئه وشعارته : روحوا هاته القلوب ساعة بعد ساعة فان القلوب اذا كلت عميت . وتقول ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق فان المنبت لا ارضا قطع ولا ظهرا ابقى وتقول لن يشاد الدين احد الا غلبه فسددوا وقاربوا وبشروا الى آخر ما هو مدون فى امهات كتب الحديث .

ومن امثلة دعابة هذا الحافظ المتفتح ومستظرفاته اللطيفة ما حكاه البوسعدى الهشتوكى من ان فئة من الناس يقال لهم بنو ابى يحيى كانوا يتطيرون من رؤية الهر ومن ذكره . ولا يذكرون اسمه فى اى وقت من الاوقات لا فى الليل ولا فى النهار خصوصا وقت الغداة وكان مسكن احد شيوخهم قريبا من مسكن صاحب الترجمة وكان هذا الاخير يأتى بهر صغير تحت ثيابه صباحا ثم يطرق باب الشيخ البويحياوى وعندما يفتح الباب يرمى له ابن طاهر بالهر بين يديه . وحينئذ يشتد غضب الشيخ فيقسم له لو فعل ذلك غيرك لقتلته . وقد علق الهشتوكى عند ذكره لهاته

---

(1) الادب المفرد للبخارى ص 77 ط طشقند .
(2) حدائق الازاهر لابن عاصم الغرناطى ص 68
(3) شرح نهج البلاغة المجلد الاول ص 8
(4) حدائق الازاهر لابن عاصم الغرناطى ص 68

الدعابة اللطيفة بانها لا تخلو من فائدة بالنسبة للبويحياوى . ذلك ان الحافظ كان يرمى الى وقوع الاستيناس بين الشيخ وبين الهر ليزول عنه كابوس الطيرة الذى لا اصل له فى الشرع (1) وهذا ما يؤكد ما قاله المرغتى سابقا من ان حركات صاحب الترجمة وسكناته كانت كلها علوما وفوائد (2) .

ابن طاهر وروح عصره .

تسيطر على المجتمع من حين لاخر فى كل قطر او فى عدة اقطار فكرة عامة يرتبط افراد ذلك المجتمع بها ويدخلون تحت لوائها فتكون عنوانا لمسايرتهم لروح العصر وشعارا لحيويتهم وذكائهم . وعلامة على متابعتهم لركب التقدم فتؤثر فيهم تأثيرا مختلفا فى القلة والكثرة وقلما يسلم فرد من الافراد من الخضوع الاجبارى لهاته الروح العامة . وقد كانت الفكرة العامة المهيمنة على العالم الاسلامى عموما . وعلى مغربنا بالخصوص مند عهد بعيد هى اعتناق مذهب من مذاهب الطرقية او تكوين شكل جديد فى اطارها . والايمان بما يزكى وجودها من باهر الكرامات والاخبار بالمغيبات وطى المسافات والمشى على الماء والقفز فى الهواء الى غير ذلك .

وقد كان العصر الذى ازدهرت فيه الافكار الاسطورية فى مغربنا هو عصر ابن طاهر ففيه اشتد ساعدها وترعرعت قوتها وقد بلغت اوج عظمتها وتحكمت فى الخاصة والعامة واذا كان المترجم قد سلم من الانغماس فيها انغماسا كليا فلابد من ان يكون قد اصابه رشاش من رشاشها . اما مباشرة او بواسطة وهذا ما يفسر لنا وجود رائحة من ذلك فى ترجمته التى اراد واضعوها ان تكون صورة صحيحة لحياته بيد ان الكثير من ذلك قد الصق به على ما يبدو من طرف اتباعه ومعتقديه (3) والقليل منه يتحمل مسؤوليته هو نفسه اذا صح النقل عنه . على ان ما وقع من هذا الصنف الاخير يمكن ان يفسر تفسيرا يتلاءم مع معارف الرجل وعلومه الصحيحة وعقيدته المتينة التى سبق لنا ان عرفناها من سيرته . ومن امثلة ذلك ما تحدث به تلميذه الفقيه العلامة ابو بكر التطافى رحمه الله قال دخلت على شيخنا العلامة الزاهد ابى محمد عبد الله بن على بن طاهر يوما وهو اذ ذاك بقرية اولاد الحاج من بلاد مدغرة فقال ان بنى يفوس — وهم اهل قرية من بلاد الخنق — وقع بينهم قتال . قال فقلت يا سيدى اجاء احد من هناك ؟ قال لا ولكن قلبى اخبرنى بذلك وقلبى لا يكذب على وقد جربته . وكان بينه وبين هؤلاء مرحلة قال فجاء الخبر بوقوع الامر كما اخبر به (4) فهذا الخبر الذى ظن التطافى وامثاله انه من قبيل الاخبار بالمغيبات عن طريق الكشف قد كفانا ابن طاهر نفسه مئونة تاويله حينما صرح بان قلبه قد حدثه بذلك فالاحاديث التى هى من هذا النوع تقع لكثير من الناس لا فرق بين برهم وفاجرهم وتفسر روحيا بانها من قبيل الالهام الذى يقذفه الله فى قلوب الاصفياء المخلصين . وعلميا بانها تدخل فى حيز الحدسيات والظنون القوية التى تقع للالماعيين الموهوبين فتجىء اخبارهم مطابقة للواقع كانهم شاهدوا ما وقع بأعينهم . **ويقرب من حادثة ابن طاهر ما رواه اصحاب المغازى قديما ان صحت روايتهم وهى ان عمر بن الخطاب رأى رؤيا مفزعة تتعلق بجيوش المسلمين فى نهاوند من أرض فارس ومن الغد اصبح يحدث الناس برؤياه وفجاة استبد به الجزع فقطع حديثه وهو فوق المنبر لكى يحذر عامله سارية من الكمائن المنصوبة لجيوش الفاتحين فصاح يا ساريةالجبل ! وفى تلك اللحظة التى كانت نفس عمر فى حالة قلق وخوف على الجيوش الاسلامية يمكن ان تتسلط نفحة من نفحاته على القائد فنفذ هذا رغبته كما يقع بين المنوم والمنوم فى التنويم المغناطيسى وبعد الفوز بالانتصار ربما تحدث سارية الى الناس بانه سمع هاتفا من السماء أو من داخل قلبه يحذره من الكمائن المنصوبة لجيوشه وهذا ما يعرف علميا بالصوت التلباثى TELEPATHIE الذى يعرف بالشعور بالمحادثة مع الغير عن بعد . فهذا هو التفسير العلمى لهاته الحادثة . اما تفسيرها الروحى فيكفينا هنا أن نشير الى ان عمر يحتل مكان**

---

(1) نفس المصدر السابق ونفس الصفحة

(2) فتح الملك الناصر فى اجازات بنى ناصر مخطوط

(3) يدعى بعضهم وجود تقييد كبير تحت يده يجمع الكثير مما نسب الى هذا الولى من خوارق وكرامات . فبذلت اقصى ما يمكن للاطلاع على هذا الكنز المخزون به على غير اهله ورغم المواعيد المرتوبية لم اتمكن من ذلك لانى نفخت فى غير ضرم .

(4) **صفوة من انتشر لليفرانى** ص 3

الصدارة فى قائمة الملهمين . كما جاء فى الاحاديث ان يكن فى هذه الامة محدثون فناهيك بعمر . هذا وقد اضطررنا الى ادماج هاته القصة هنا لكى نلقى مزيدا من الضوء على قصة التطافى مع شيخه ابن طاهر . ثم ان هاته التلاويلات وامثالها لا تتنافى فى نظرنا مع ولاية الاولياء ومزايا الاصفياء يقول سعد الدين التفتزانى فى تعريف الولى انه العارف بالله وبصفاته حسب ما يمكن ، المواظب على الطاعات المجتنب للمعاصى . المعرض عن الانهماك فى اللذات والشهوات (1) ومما لا جدال فيه ان العلماء الحاملين لسنة الرسول المدافعين عنها يحتلون مكان الصدارة فى قائمة الاولياء ومنهم ابن طاهر طبعا فاذا لم يكن هؤلاء هم الاولياء فليس لله من ولى كما يقول محمد بن ادريس الشافعى .

ثم ان الكرامات التى تنسب عادة الى الاولياء ليست شرطا فى ولايتهم فقد تظهر على يدهم وقد لا تظهر اضف الى ذلك ان وقوعها نفسه لم يكن ابدا محل اتفاق بين علماء الملة الاسلامية فقد ذهب جمهور علماء الاعتزال وبعض المفكرين من غيرهم كالاستاذ ابى اسحاق وابى عبد الله الحليمى وغيرهما الى انكارها . او على الاقل الى تحديدها فى اطار ضيق وحجتهم فى ذلك انها تقدح فى المعجزات والنبوات والآيات القرآنية وذهب جمهور اهل السنة وامام الزهاد وسيد التابعين الحسن بن يسار البصرى الذى كان يرى راى المعتزلة ثم رجع عنه او الذى يحبذ الاعتزال القديم (2) الى اثباتها ووقوعها بالفعل لكثير من الاصفياء وحجتهم فى ذلك ان الله على كل شىء قدير وله ان يجرى ما شاء على يد من شاء من عباده المختارين الذين يريد اكرامهم بذلك . ويجيب الاخرون بقولهم نحن معكم على ان الله على كل شىء قدير ولكنه جعل لكل شىء سببا مقدرا . ولكل مقدمة نتيجة محتومة وهكذا يستمر الجدال والنزال وقرع النصال بالنصال فى هاته المعركة التى لا تنهى ولن تنتهى ما دام الصراع بين الحزبين المتضادين . وتبقى مسئلة الكرامة بينهما فى اخذ ورد الى ان يشاء الله . ولكل وجهة هو موليها . وربك اعلم بمن هو اهدى سبيلا .

مؤلفات صاحب الترجمة .

قد اسهم المترجم بانتاجه فى ميدان التاليف بقسط لابأس به من المؤلفات القيمة التى لا زال صداها الطيب يرن فى كتابة تلميذيه البارين الهشتوكى والمرغتى حيث نوه كل منهما بهاته المؤلفات تنويها طيبا بيد ان يد التلف والضياع قد لعبت بها لعب الشمول حيث لم يصل الينا منها الا اسماؤها البراقة وبعض الجمل التى تتحدث عن موضوعاتها والتعريف بها وعن الاذن للتلميذين فى روايتها ودخولها فى الاجازة العامة لهما يقول المرغتى (3) فى اجازته لبنى ناصر متحدثا عن ذلك : وقد اباح لى رحمه الله رواية ما قرأته عليه ورواية ما قراه هو على شيوخه وما وضعه من التاليف فى كل علم نظما ونثرا وها هى اسماؤها وموضوعاتها مرتبة حسب اهميتها :

1) كتاب الدر الازهر المستخرج من بحر الاسم الاطهر موضوعه علوم القرآن جمع فيه اثنين وسبعين فنا من فنون القراءات واحتذى فيه حذو الاتقان فى علوم القرآن للسيوطى لكنه اربى عليه وتعرض فيه كذلك لاسماء النبى صلى الله عليه وسلم وعد منها الف اسم التقطها من مؤلفات العلماء وبالاخص

---

(1) شرح العقائد النسفية ص 134

(2) قصة انطلاق مذهب الاعتزال على يد واصل بن عطاء من مدرسة الحسن البصرى معروفة بيد ان المؤرخين الاعتزاليين انفسهم والدارسين للمذهب يرون ان الجذور الاولى لتشكيل الاعتزال قد ظهرت فى المجتمع وقبل حادثة الحسن البصرى مع واصل بن عطاء بنحو قرن من الزمان وذلك اثناء وقعة الجمل او فى وقت حروب على ومعاوية او فى الظروف التى اعتزل فيها الحسن بن على السياسة وسلم الامر الى معاوية على اقل تقدير حينما اعتزلت فئة من الناس المجتمع وتفرغت للعبادة والدراسة التفكيرية وعلى ذلك فهم لا يكتفون بادخال الحسن البصرى فى المذهب بل يذهبون الى ان الكثير من ائمة اهل البيت يرون هذا الراى وذلك مثل زيد بن على وعبد الله الكامل وابنائه . وايا ما كان فالمذهبان الزيدى والاعتزالى توأمان شقيقان . فضل الاعتزال . وطبقات المعتزلة . وفجر الاسلام لاحمد امين =
= وتاريخ المذاهب الاسلامية لابى زهرة

(3) مرغته مداشر فى عدد الاخصاص بسوس وهى بالميم المفتوحة فراء مهملة ساكنة فغين معجمة مكسورة (الصفوة 177) من غير ياء كما هو جار على الالسنة ووجد بخط من يعتمد بالياء قبل الراء (فهرس الفهارس ج 1 ص 417) ينطق السوسيون اليوم بالغين خاء فيقولون مرخت ومرختى وهى بناحية تيزنيت (الزاوية الدلائية 96)

من عارضة الاحوذى لابن العربى وتعرض كذلك للسماع واوصاف المتفقرة .

2) حاشية على المرادى شرح الفية ابن مالك فى علم النحو

3) عقيدتان بديعيتان صغرى وكبرى موضوعهما علم التوحيد ومما يدل على تمكنه من علوم الصناعات اللفظية واللغة انه اقتصر فيهما على الحروف التى اشتملت عليها سورة الاخلاص وعددها ثلاثة عشر حرفا ولم يدخل فيها غير ذلك من حروف المعجم ولذلك جاءتا من الصعوبة بمكان لانه صار يرتكب فيهما الغريب من الالفاظ اللغوية حيث حصر نفسه فى هذا النطاق الضيق .

4) اجوبة وفوائد املاها على تلميذه الهشتوكى

هذا كله فى ميدان النثر واما فى ميدان النظم فله ما يأتى .

5) نظم فى مصطلح الحديث

6) وله ديوان شعر فى الامداح النبوية (1) *

وفاته ومدفنه

لا غرابة فى كون ميلاد صاحب الترجمة لم يصل الينا بصيغة التدقيق وكل ما فى الامر انه ولد بعد الستين وتسعمائة . وذلك انه دخل الى هاته الدنيا كما يدخل اليها جميع الناس فلم يكن هناك ما يثير الاهتمام بهذا الميلاد الذى تشهد جميع الاسر مثله بين حين وآخر فالحالة المدنية التى تلزم الاباء بتسجيل اسماء ابنائهم وقت ميلادهم فى دفاتر الحكومة لم تكن معروفة فى ذلك الوقت بل لم تكن تدور حتى فى خلدهم وانما الغرابة فى وقت مماته الذى تشعب فيه الخلاف تشعبا اكثر من اللازم مع انه فى هاته الحالة يكون قد فرض شخصيته على المجتمع باعماله التى انجزها طول حياته . وتوفر على الابناء والاخوة والاصدقاء الذين يهتمون بتسجيل وفاته لسبب او لآخر ومع هذا فيقول المرغتى فى اجازته لبنى ناصر توفى رحمه الله عند طلوع الشمس من يوم السبت الثانى عشر من جمادى الثانية عام اثنين واربعين والف 1042 بمدغرة ودفن خارج قرية اولاد الحاج . اما الهشتوكى فيقول فى بذل المناصحة كما فى نشر المثانى ان الوفاة كانت فى شهر جمادى الثانية عام اربعة واربعين والف دون تحديد للزمان واليوم وعدده من الشهر زيادة على الفرق الكبير فى السنوات ونقل القادرى عن فهرسة السيد الطيب بن محمد الفاسى ان الوفاة كانت عام خمسة واربعين والف وهو الذى درج عليه اليفرنى . ورجح القادرى رواية الهشتوكى لانه كان معاصرا وحاضرا لعصر الوفاة وليس من رأى كمن سمع . ويظهر انه لم يطلع على رواية المرغنى التى تتوفر على ما هو موجود فى رواية الهشتوكى من الترجيحات وتزيد عليها بان صاحبها امام فى التوقيت يهتم بالزمان والمكان لا يكاد يضحى منه بلحظة واحدة حتى لكانه كاد ان يضع اصبعنا على اللحظة الاخيرة من حياة المترجم حيث يقول عند طلوع الشمس من يوم السبت الثانى عشر من جمادى الثانية ولم يكتف بكتابة ذلك بالحروف بل وضعه حتى بالارقام . لهذا كله نرجح روايته على غيرها .

وبعد موته بمدة طويلة بنيت عليه قبة انيقة يقال انها من تشييد اسرة اليمانيين ابناء الشيخ احمد اليمانى نزيل فاس والمتوفى عام 1114 هـ ويؤكد ذلك ما شيد اليمانيون من منشآت اخرى قرب الضريح وما كان معروفا بين العائلتين من صداقة واخاء ومودة والتحام بالمصاهرة والتوارث فقد تزوج حفيد صاحب الترجمة مولاى العابد بن على بن عبد الله كريمة الشيخ المذكور السيدة الزهراء وبقيت فى عصمته حتى توفيت فورثها . وتحت اليد الآن صورة فتوغرافية

---

(1) النشر المخطوط والمطبوع ج 1 ص 166 وفتح الملك الناصر مخطوط والصفوة ص 4

* بعد كتابة ما تقدم وقع العثور على كتاب فى فضل الجهاد . ولولا ذلك لم تعرفه كتب التاريخ التى عنيت بترجمته . اسمه مراقى الجنة . وهو مدرج تحت عدد 2993 بالخزانة الملكية بالرباط . مطلعه الحمد لله الشهيد على اعمال عباده . العليم بمن جاهد فيه حق جهاده جاعل حماية البيضة بقتال العدو من اوكد الفرض ولو شاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض . كاتب المقال .

لوثيقة المخارجة الواقعة بين العائلتين فى شأن الرباع والعقارات بفاس ونواحيها التى ءالت الى ابناء هذا الشريف من هاته السيدة وهى مؤرخة اواسط رجب الفرد عام ثمانية واربعين ومائة والف . وتادية القاضى يعيش بن الرغاى الشاوى وقد اخبرنى احد قضاة العدل اطال الله بقاءه انه وقف على وثيقة وقف لاراضى ومزارع فلاحية على الاسرة اليمانية ومن فصولها انها اذا انقرضت العائلة اليمانية يئول الوقف الى ضريح صاحب الترجمة الامر الذى يؤكد ما قلناه من شدة الارتباط المادى والروحى بين الاسْرتين رحم الله الجميع .

افشاء السلام من الاسلام

.... قال عمار : ثلاث من جمعهن فقد جمع الايمان :

الانصاف من نفسك ، وبذل السلام للعالم ، والانفاق من الاقتار .

* * *

حدثنا قتيبة قال حدثنا الليث عن يزيد بن أبى حبيب عن أبى الخير عن عبد الله بن عمرو أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اى الاسلام خير ؟ قال : تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف .

صحيح البخارى ، ج : 1 ص : 14